

شعر

٣

دقيقة تأخير عن الواقع أبواب بيروتية

عباس بيضون

I. الحديقة

أيتام الجنة

الأشجار الضخمة ليست من طبيعة هذه البلاد. إذا كان احد غرسها فلا بد أن يكونوا محتلين متعجلين ولم يفعلوا ذلك كرمى شيء ولا لأنفسهم. لربما كانت إقامتهم قصيرة لدرجة أننا لم نستطع أن نتأكد منها. كان هناك دائما من يتخلص من شيء في هذا الخليج الصغير. تكلموا بالطبع عن أساطير لم يثبت منها شيء. الحقيقة انها كانت سفنا هاربة او ضائعة وتُنزل براميل وحمولة أفسدها الليل. حظينا أحيانا بزيارة أساطيل حقيقية، لكن هذه كانت تغادر قبل ان يتسع الوقت لملاحظتها. مر هذا سريعا

عباس بيضون، شاعر لبناني - بيروت

بيضون: دقيقة تأخير عن الواقع
ثم هدأ تماما، ولم يبق سوى هذه الأشجار التي تركض في الفضاء أسرع من أي شيء.

-٢-

كان مقدرا ان تنهار الحديقة الصغيرة، لكن هذا لم يحصل أيضا. هكذا نشأت أسطورة أخرى تبددت سريعا، ففي هذه البلدة لا قوة حتى للأساطير. الأسوار أيضا تتداعى من طول أعمارها. الشيخوخة هنا فصل لا ينتهي، ولا خاتمة للاحتضارات الطويلة بلا عذاب، ولا الحرف شقيق الأبدية المزهرة الطارد للموت. الشيخوخة أطول من الحياة نفسها، فالطبيعة هنا تستريح او تنتظر ولا تجد ما يستحق منها ان تتم قانونها، حتى الكوارث التي تقترب بأحجام كبيرة تتشاءب ولا تحصل. العاصفة تصفر من أشهر ولا تخيف، والزلازل فقدت أنيابها.

-٣-

إذا كان تعبنا هكذا بلا ثمن، فمن العدل ان نعتمد على إعانات النعمة الرخيصة، إذ الحظ جندينا الصغير، وقدرنا المنافق يتاجر بالعاديات. هذا لا يكفي لأن نفكر دائما بالسما، أننا نراها غيمة كبيرة وسخة من أعلى الجبل. نعرف عندئذ ان الحرب لا تنتهي، ونفهم لماذا نجد القديسين بوفرة هذه الأيام. نقول ان لا داعي لأن نعتد بأشياء موفورة في كل مكان، وما أهان كنوزنا الصغيرة هو ان أشياء كهذه لا أسماء لها عند الآخرين، وأننا نزداد شبيها بأمور لا واقع لها. ما أهان كبرياءنا أكثر هو ان أحدا لم يلاحظ ذلك، ولم يهتم أحد بدعوتنا للحضور.

-٤-

الحروب المتروكة لا تترك كتبنا، والأثر الوحيد يتركه من يحاولون إزالتها. يفعلون ذلك بوسيلة أسوأ، وسيكون منظرها وهي ممحوة أكثر بشاعة. سيتكون من ذلك ما يشبه الوصمة، زيت وسخ بدل الدم وأحيانا ممزوج به. الذكريات المكروهة ستكمل تحولها الى قمامة. قبل ذلك سنظل نتعرف فيها على رائحتنا الخاصة. ينبغي وقت طويل قبل ان تموت المذلات تماما او يختفي الجرح الذي يخلفه الاغتصاب. بالطبع تساعدنا قدم مبتورة على ان نتذكر ان شيئا مشابها حدث في نفوسنا. سنفكر أننا نعيش أيضا برغبة مبتورة. لن نتكلم عن القلوب، فهذه الألفاظ ما عادت تناسبنا، وسنفهم ان أمورا اقل سوءا دفنت بوقار في كتب مجلدة. وسنفكر أننا نستقبل مع المذلات أحاسيس كبيرة رائعة وربما حواسا بحالها.

-٥-

نعمل ذلك بالطبع، لنغدو زوارا مقبولين للبارات التي نقضي فيها ليالينا على الشاطئ. لن نتصر على شيء. لكننا نزيح اللوحة الى الورا واثقين أننا قتلنا مع ذلك بعضا من ذكائنا وجمالنا.

الصيف سيكون عامرا بالتأكيد وليس مثل أي صيف. هذا الذي غدت فيه الصور

صغيرة ومعروضة فقط في الأيدي. آلهتنا الصغيرة، ومومياءاتنا باتت في الجيوب وحدها. صعدت الى السماء الملتصقات الهائلة التي تظهر فيها جباه عريضة ومتحجرة. الأرجح ان ملائكتنا وشهداءنا يغردون الآن في غيمة الزيت الكبيرة الملونة التي لا تنصرف عن المدينة. الأغصان الصغيرة التي نتهادها في أعياد الموتى إشارة لطيفة الى غيابهم العزيز، لكنها لطيفة وناعمة بحيث يمكن ان تنقل أسوأ النوايا. يمكننا ان نتحدث هكذا عن المصايح الخطرة والرسائل التي لم تتأكد من المخطوفين. عن مواكب الحفاة الطويلة الى الصوامع والأودية المقدسة. يمكننا ان نحلم مجددا بتلك الليلة الدامية لعصافير الله وبالاحتفالات الكبيرة وتسليم الموتى على وسائل عالية. بالفتيان الذين يسيرون بالأبواق والزنايق التي هي شارات الأيتام اللطاف المعدين للجنة. الحياة مستمرة ولا تزال تنتج كميات كافية من الأوزون النافع والسلم الذي يتفوق عليها.

ترميم

الجلوس في الحديقة عند عمر يشبه عمله كرفاء. حين يضع إصبعه في المزق ويبدأ برتق الثوب. يشعر انه يضع يده على قلبه ويسمع من بعيد الرعب والنبضة القاتلة. يضعها في جرح صدره ليتحسس الألم المتجمد، يسمع أيضا الفكرة التي ولدت برأسين والأجنة المشوهة للذاكرة، يقول العطب يولد أيضا كاملا. الثقب طبيعة صامتة. يقول الأمر يبدأ دائما من الحياة التي تغلبنا. انها الصحة التي تقتل، الدم الذي يثبت الكراهية. الشدة التي تقصم الرغبة

٢-

الجلوس في الحديقة عند عمر يشبه عمله كرفاء. انه ايضا وجع وركه. الجلاتين ممزق ولا يستطيع ان يصلحه. يفكر: الأشجار تصلح نفسها، انها معامل ترميم هائلة، الكائنات التي تحت مقعده تتجامع، انها تصنع تقريبا الخيط الذي ترتق بها حياتها. مع ذلك يترقع البشر بجلودهم وهناك كائنات لم تجد الخيط اللازم لبقائها. لا يعرف ماذا يتوالد في الأشجار، لكنه مدهوش بالسرعة التي تتوالد بها الأشياء في رأسه، كان يطبق حذاءه بالتأكيد على حيز زمني لا يستطيع ان يهرب وأمنية مقلوبة. ثمة أفكار غير مكتملة تولد كإكسسوارات ولا نعرف كيف ننقذ بها أفكارا منازعة، ولا ماذا نفعل حين تنقطع الأفكار فجأة.

٣-

الأمر يبدأ حين تتحول الفكرة جرحا، او حين لا نستطيع ان نرتق جرحا في الذاكرة. الثقب الذي يغدو جرحا إلهيا لن يجد ما يغلبه. لن نجد ما يملؤه بالجلاتين او القسوة. الله حاضر بالتأكيد، لكن الأمر سيكون رهيبا حين لا يستطيع عمر ان يعود بالسهولة نفسها الى حجرته. ان يزيل طبعة حذائه والأمنية المتألمة تحته. سيكون أصعب حين

بيضون: دقيقة تأخير عن الواقع

تغدو الكلمات أحجارا والله وحده يستطيع ان يملأ الثقب.
ستكون الحياة مشغولة حين يتصل لكن النهار عمل كبير. سيكون الخط مشغولا
حين يتصل. ستكون الخطوة تامة ولن يقدر بسهولة على ان يغادر. عمر الرفاء سيكمل
عمله تحت الجدار في الثقب الكبير الذي أحدثه الوقت، وربما أحدثه الله في الحديقة.

أصنام عادية

لم ينتظر ان يصعد المنشار الآلي الى آخر غصن في الشجرة العظيمة، لكنه لعب
بالأغصان كالمقص، وفي مدى وقت قصير كانت الأشجار محلوقة تماما وظهر وجهها،
الذي كان وجه الحكمة، كاملا. هوت الفروع الهائلة بلا أي ثقل. فيما كان وجه الشجرة
الذي لا يشبه الشجرة ولا أي شئ آخر يفاجئنا نحن الذين لم نعتقد في يوم انه موجود،
او ان في داخل الشجرة سوى أغصانها.

-٢-

كانت وجوها عظيمة بالتأكيد لكنها ليست سوى تكثيرات شاسعة، محطمة ومتناثرة
في كل مكان. وجوها بلا هيئات، وحين نراها نشعر ان شيئا أعظم يعلن عن نفسه بهذه
الطريقة.

لا ننجح في ان نلتقي بعيونها، ويخيل إلينا ان ما نلمحه تقريبا هو أطباق فمها،
ولا نقول أي جوع تسببه للنفس هذه المحاولة المتجددة لاستنطاق رمز خشبي.

-٣-

الزوار تألفوا بسرعة مع هذه الأصنام العادية، والعصافير اعتادت بسهولة ان تقف
على الخشب العاري. العشاق واللصوص والقوادون والأمهات دخلوا بلا أي فرق مع
الحامل الحسون على كتفه وذو العين الزجاجية والرفاء والمعته. ليست مدينة السلام،
هنا فالفقر والبطالة والرغبة آلهة أيضا، ويمكن ان تكون هذه
هي الحياة الخشبية المحطمة في العلاء.

-٤-

لا نحتاج الى دليل بالطبع. حياتنا تعود إلينا دائما ككلب أعرج. إنها حلقات
متواصلة. من لا يعرف الحديقة لا يعرف المدينة. من لا يعرف الكلب لا يعرف الأرنب.
لكن من رمى المفتاح.

حلقات متواصلة، السؤال الصغير يؤدي للسؤال الكبير. الطعام يؤدي للسمة،
السمة الكبيرة للسمة الكبيرة الصغيرة، لكن من رمى المفتاح.

-٥-

الفردوس كلمة غريبة من البداية. فن الحدائق جاءنا من كلمة أعجمية وجدناها بذرة
على الطريق، وكان يمكن إنشاء الشوارع والجسور على منهاج مخطوط أعجمي.

المدينة المحلوقة أيضا تخرج آلهتها، الجبين الخشبي للخط، الجبين الخشبي لرأس السنة، الجبين الخشبي.. ولكن أيضا المهبل المنور واللسان الذي يسحب من أسفل سمكته الكبيرة والهبوط الى بطن المدينة (الدين تاون) والسهر، وسط الرموز المستوردة، في التجديف ومعاشرة فكرة لا تنام خوفا منها. ما من مسدسات إذا قلناها بلغة أجنبية. ستكون آمنة أكثر إذا نقلت خيانتك إليها. لن يهددك ثأر ولا حرب أهلية. إذا لم تعرف بأي لسان تحلم الأشجار أو تفكر، فستبقى مبعجلة مرهوبة في هذه المدينة التي تقتل الغرباء أو تُملّكهم عليها وستقع البذور، مع ذلك، في منتصف قدرنا، منتصف حياتنا، ستقع في الفرق الذي هو خط وجودنا، في المأنا الخاص، وسيبقى الأمر كذلك إذا كانت الآلهة هي أيضا الوجوه الأجنبية الكالحة التي تطل، بلا سبب، علينا.

II . ساقان من خشب

الفرق

«س» يرقص على رجلين من خشب يتعجبون من انه يفعل ذلك بلا ساقين، أما هو فيفكر، انها مسألة إحساس، لو كانوا أكثر لطفا لما لاحظوا أي فرق. يسمع وقع قدمه كأنه ضجة شيء آخر إذ لا يقول الخشب سوى حاله. لا يحس بثيابه، فعلى جسده ان يصمت تماما او يتخشب كله، ويفكر ان هذا هو الفرق الذي لا يلاحظه أحد. يتعجبون من انه لا يقع. لا يخطئ في تقليد نفسه، ويكاد يكون «س» القديم ذاته ويفكر انها مسألة إحساس، لو كانوا أكثر لطفا لما لاحظوا أي فرق. لو كانوا أكثر لطفا لما ظنوا انه فن خشبتين وان ما فعله هو تدريب خشبة على ان تقف رجلا. لما اعتبروه خشبة راقصة. لو كانوا أكثر لطفا لعلموا انه أمانت جسده وروحه في هذه الرقصة. ان جرحا ينشف ويتوقف عن الصراخ يتخشب في نهاية الأمر، وان من الممكن ان يبيع المرء حظه بخشبتين. ذلك هو الفرق الذي لا يلاحظه أحد.

على سبيل المزاح

لا أدري ماذا نفعل بساقين مقطوعتين، هل نرسلهما الى الله من دون إيضاح. هل تقدران على الصعود وحدهما، وهل تتكلمان في حضرته بعد ان عملتا دائما كحيواني جر عجموين. حشيتا بالصبر الذي لا مفردة له في لغة الآلهة وحملتا الطرق والجبال في

بيضون: دقيقة تأخير عن الواقع

ذاكرة دائمة، وكان العالم بالنسبة لهما مجرد تعب تتفرغان منه على حشية السرير. هل يمنحهما اليود وليالي البراد الموحشة معنى إضافيا، أم ينطقهما الله وبيعتهما حيتين. هل تقفان حقا في صف الملائكة والشهداء، وهل تقتربان من العرش وتتقاطعان تحته في رمز سماوي. هل نقول هذا على سبيل المزاح، ان لم تكن السخرية من الجسد الكسيع الذي لولا خطأه لم نضطر الى الكذب عمدا، والى التغني دون إبطاء بالحياة التي تُعطى كصدقة يومية وتقاوم في الدودة العمياء، ان لم تستمر طويلا وحتى الضجر كإدمان أو عقوبة مؤبدة. إن لم تكن السخرية، من الالهات الكثيرة التي تتراكم على الوجه الإلهي.

الوصمة

هل نضرب هذه الساق المقطوعة مثلا، أم نستخرج من رجلين خشبيتين درس النملة المجتهدة. لو كانت فملة كاملة لضربت مثلا أوضح. لو كانت خشبة لأحيها الله في ثانية. لكن الألم هو الفرق الذي لا يلاحظه أحد.

-٢

بين الخشب والجلد لا نسمع المنشار الذي يغني. بين الخشب والجلد لا يتوقف المنشار. لا ينزل الجسد عن عامود الظهر. لا ينزل الجسد عن آلة الرقص. لا ينزل ولا يستريح. نحن في النهاية لا نتكلم عن الشقاء العبودي للقلب ولا آلة الصلب لفقرية. لا نتكلم عن الرماد الذي يتم تعزيله كل لحظة ولا عن الخلايا المختنقة. لا نتكلم عن الزيت المستعمل مرارا لتكوين أفكار يصعب غسلها. إذ يجب إنقاذ أشياء كثيرة من الشوارع وربما أصوات ونزوات مصاحبة لتكوين حياة خاصة.

-٣

كان يمكن من ساقين مقطوعتين تكوين رسم شعائري. يمكن تعبئة الجسد الثقيل بالرمل، أما أصابع الحليب التي يستحيل تقليدها فمن العبث البحث عنها. سنجدها متفرحة غير مفهومة، وسيصعب تكوين لذة جديدة منها.

-٤

لقد تم قتل الأشجار هذه المرة لبناء المزيد من الطوابق. كانت هذه هي التضحية الوحيدة المتوفرة. تحطم كل شيء آخر في عاصفة من السخرية، وسيحمل الى الأبد صور الكاريكاتورات التي هاجمته والتي هربت في عاصفة أخرى من الكحول. كان ذلك اختبارا لانفجار ميلليغرام واحد من الكراهية. في حفل تنكري، يسعى الكل، حتى الهذيان، الى الوصمة ذاتها. ليس فقط اللحى غير البالغة ولكن أيضا الابتسامات البلهاء المفتوحة بأيد غير مدربة. انه أيضا حفل تدنيس، شيطنة غير موهوبة، وتهريج انفجاري، وسخف ذو قوة رعدية. الدم المعاد تكريره، المعاد تخزينه، لا توجد لغة بعد لتعزيله لا من الأوكسجين المحترق فحسب، ولكن أيضا من التهكم الذي ضرب حدته

وهو يغلي في المحركات.

الملائكة

هل يمكن لساقين مقطوعتين ان تصعدا مع كثير من النقرس والتقرحات. لن يقتلها ذلك وستعودان صالحتين لكن هذه، للأسف، المنحة الوحيدة التي يستحقانها. لو كانت لهما روح لبعثهما الله طائرين وجعل لهما أجنحة. ستسيران فحسب، وستكون هذه الخدمة للأحد، لكنهما ستكونان في ذاتهما جنديين وعبدین وليس شيئا سوى خدمتهما، ستظنان ان قدما عليا في انتظارهما، وانهما ستجدان الملائكة مصطفة كالأقدام السليمة تحت العرش. ستصليان لإله الأرجل الصحيحة بالإيمان الذي ينقل جبلا بحاله ولا يساعدهما على ان يتقدما خطوة. مع ذلك يستمران في الاعتقاد بأن سائقهما الذي لا يرحم هو الله نفسه.

تشبهاً بالعصافير

ولدتا لشمسيا وستفعلان ذلك أيضا. مع ان هذا العصر انتهى في السماء، حيث غلبوا الموت وغلبوا الله نفسه بالطاعة، لكن هذه قضية قديمة. لقد أعتق الله الجميع من كل تكليف، وسيصعب عليه ان يجد بعد خادما، ربما لن يجد أيضا وقتا للراحة من ضجة الانقياء قلوبهم الشهداء الذين يتشبهون بالعصافير. يستمر الإيمان على الأرض في نقل الجبال وتفجيرها، لكن هنا يتحدثون عما بعد الله. ذلك طبعاً ليس حديث ساقين مقطوعتين تنتظران ان تستقرا الى الأبد في إسطنبول الأب. وإذا أمكن ان تفكرا بمعجزة فستحلما بأن يبعثهما القادر الجبار عجلتين في السماء.

عمل فرنكشتين

أعداد كبيرة من عصافير الله طارت ولم تعد، أعداد سقطت على الأرض كبطات خشبية تحطمت ولن تنهض ثانية. ستغدو أثقل بعد ان حمل كل منها في جسده قطعة من الحداد او قطعة من النجار. سيكون لذلك إله أعرج قُذِفَ لهذه المهنة، وستخرج من عنده بشرية بصناديق وعجلات، هذا تجديف بالطبع، لكنه الخلق القليل الإتقان لكاريكاتورات لم تكمل بعد سيطرتها. ربما هو زواج بين الناس والآلات ولن يكون سعيدا.

الله لن يكون هنا ليجيب. معتوهون مبعولون ومخلوقات بدواليب وملائكة كسيحة ومعلمون سيئون ينتشرون على السطح، وبين الواحد والآخر فرق ثانية، فرق ألم غير مرئي.

بيضون: دقيقة تأخير عن الواقع

لن يكون الله هنا ليحجب وسينتظرون طويلا مع المدمنين والمنتحرين والمسرطين، فرق ثانية بينهم وبين الحياة، فرق ثانية بينهم وبين الله سيخفيهم ولن يُشاهدوا بعد. سيستمر عمل فرنكشتين السري في العالم الموازي، وسنسمع دائما ولولة من المقابر، ولن نحازف رغم اننا نشاهد في كل مكان الأبواب المعلنة للنسيان، وبينما يستمر عمال سوكلين في محو العلامات، سنتساءل مجددا كيف اختفوا فجأة.

عارض ميتافيزيقي

لن يكون هناك أحد ليسمع، الجريمة ستجد حلا. ستتخلص من عارضها الميتافيزيقي. لن يعود هناك صراع مع الله على الجثة. سيكون ذلك هينا كاللدعابة ولن يترك وصمة. سيكون تعجيزيا ان نجد معنى لنصف الجسد، لكن ذلك سيبقى مطروحا كأحجية. على سبيل اللعب، قد نصنع رمزا دنيويا من ساقين مقطوعتين. على سبيل التجديف، قد نصنع رمزا ماجنا. لكن الله لن يحجب، إذ تتعطل القدرة فجأة، كما تتعطل أجهزة الإنذار في هذه الناحية المحلوقة التي يتكلم فيها البؤس أحيانا كجندي وأحيانا كإله. ثم ان الشهداء لن يكونوا أقل سخرية، لقد تحقق كل ذلك بتفجير ذرة من الإيمان ولم يتكلفوا أكثر لاحتلال السماء، شفوا سريعا من الطاعة ولن يفعلوا شيئا لإنقاذ الله نفسه.

III. ذهابا إيابا

«الحياة في مكان آخر»

المفؤودون على كورنيش المنارة لا يتلفتون كثيرا، يمرون مسرعين في معاطفهم المزرة بالكامل ولا يتوقفون لأحد. انها إشارة إلى ذلك الجرح الذي اختفى من صدورهم، والى ان الجسد الذي ابتلعه ليس آمنا. لا يخافون مع ذلك ان يكون انفق من حياتهم، إذ لا يزال سرا في وسطها، وهذا قد يكون المعنى الضئيل لدوريتهم الليلية.

المفؤودون الذين يتمشون على الكورنيش ذهابا وإيابا لا يتلفتون كثيرا. يريدون ان يرى الناس كم أقدامهم قوية، إذ وهم يرفعون أحذيتهم الرياضية يغلبون في كل خطوة قلوبهم الخائنة ويدوسون عليها. إنهم يمشون ذهابا وإيابا ذلك الجرح الذي هو علامة انتصارهم، يمشون حياتهم ويغلبونها ذهابا وإيابا. يطيلون شيخوختهم وأمراضهم مرتين، دارين ان الحياة «في مكان آخر». قد تكون ثملة وعاجزة، قد تكون كوز الذرة المشوي او النخلة العجوز. يمشون ذهابا وإيابا والحجر الذي يكبر في الساق يسقط من الساق، والقدر الذي يركلونه يتحقق في يوم آخر.

بلا سبب

لا تملك أشياء كثيرة. أحيانا نطلق أسماء على أحيوتنا. نبكر لنجد مواقف لسياراتنا العتيقة التي نطلق عليها كنى جداتنا، نتركها مفتوحة تطلق وحدها موسيقى عالية من الراديو ونخيم قريبا. لا يفكر أحد بأن يخفضها لنسمع بعضنا، إذ لا نتخيل ان نتفرغ لشيء كهذا وان يكون كل ما نفعله، كذلك الصبي الذي بقي يتنهد على السياج ويقول «هذا بحري، هذه نجمتي».

أشياء كثيرة لا تملكها وتقريبا لا نسميها. البحر أمامنا، انه أكبر من ان يملكه أحد، وما من سبب لنراه إذا كان دائما حولنا. الوقت ليس لنا وليس سمكة لنصطادها، الأفضل ان ندخن وننفخه بعيدا، او نتركه حرا كهذه الموسيقى التي لا يسمعها أحد على الكورنيش، او هؤلاء الناس الذين يوجدون بلا سبب حولنا، المثليين الذين يتخاصرون مع وقف صغير، المحجبة وعاشقها مع وقف صغير، الغانية والرجل الذي تساومه في السيارة: المفوودين والرياضيين. ما يحصل ليس الرغبة التي تنضج في علب مغلقة بل الحرية التي تتبدد من دون ان تترك صورة، إذ لا يقال «هذه لي» او «هذا لي» من دون حسرة.

الجندي

من الآن أنا جندي حياتي. اخدمها كما اخدم علمي، جندي حياتي الصغير أنا، وعليّ فقط ان امشي. وحدي مع حذائي وسأكمل. الريح أمامي. انها تغني في صدري، وأنا أتقدم. دمي يسخن ووجودي يتفصد في قميصي وأنا أتقدم. ركبتاي صلبتان تمتلآن أسراراً وقسوة وأنا أتقدم. خطواتي ثقيلة مرصوفة، اطبع قلبي في كل خطوة، اطبع نفسي، اركلها أمامي وأتقدم. احبس حياة تحت قدمي وأحررها كل مرة، ارفع قدري وأدميه. جندي حياتي الصغير هنا وعليّ فقط ان امشي.

تعب

أفعل كل شيء بقدمي، وكل شيء ينضاف الى عظم ركبتي يتحول صلابة وثقلا، وبعد قليل سيكون العالم كله تعباً رائعا في عضلة ساقي. المدينة نفسها اسمعها تذاق في مكان آخر، وأقول ان ما يحصل لن يكون حقيقيا قبل الصباح التالي. من الأفضل ان أتقدم وأنا أفكر بأن ذلك سيبقى يغني في صدري، ولا داعي لأن أتفقد الجرح الذي تحجر فيه، سيبقى بعد موت الألم نوعا من مومياء خاصة. لا يهم ما دمت أحرك مزيدا من الوقت بقدمي، اقتلع في كل خطوة ثانية أخرى، وامتلى ساقي بالعناوين والساعات المحطمة.

IV . مواعيد سابقة

بضع دقائق

أصل على الموعد مع بضع دقائق تأخير فأجدهم غادروا. ماذا تعني بضع دقائق تأخير بالنسبة الى المسافة التي قطعت. هجرت فراشي باكرا وسرت في البرد وأنظر ماذا جنيت. كل هذا بلا سعر على الإطلاق ولا يبادلني به أحد دقيقتين. من المحتمل ان ينظروا اليّ كرجل بلا كلمة، او يقولوا إنني بددت وقتهم في الانتظار. لا يمكنني ان أخبر عن الصداق الذي تملكني طوال الطريق ولا قلقي من ان أتأخر. كل هذا لا يساوي شيئا الآن وأفضل ان أرميه خلفي. لن أستطيع حتى ان أؤجره للذكريات، او أتلقى من أجله بطاقة خسارة. سأفكر بأنني فقدته فحسب، وسأنتهي الى الشعور بأنه لم يقع. سأفكر في هذه القصيدة أيضا على انها موعد خاسر ما دمت لن أجد كلمة لنهاية السطر. سأفكر أنني كنت موهوبا أكثر في بروفات أخرى، وان النهايات السعيدة الغيبة فاجأتني بعد حركة لم أتقصدها. قد أكون سرقتها من الوقت او رماها عليّ حظ لم انتظره. لا نستطيع أحيانا ان نلبي نداء فكرة عظيمة من دون ان نهوي قليلا، لكن أحدا لا يلاحظ سوى ان الكأس انقلبت ولطخت الأوراق بحركة تأخرت ثانيتين عن ان تنجح. لا يفهم أحد ان الاحتراس قوة لا يحتملها الجسد دائما، وان هفوات غير منتظرة قد تنتج عن فرط التركيز.

-٢-

اصل على الموعد دائما، لكن النهاية ليست في يدي، وأفضل ان نبحث عن بضع الكلمة الأخيرة. اصل على الموعد دائما، لكن الوقت هو الذي يتأخر، وأقول: ان هناك بضع دقائق بيني وبين الواقع. بضع دقائق بيني وبين الوقت. ثم هناك ذات الفارق بيني وبين العنوان الصحيح الذي أمزقه عن وجه حياتي التي تصلني في رزم، وأحيانا في رسائل ونداءات. لأن سيرتي كلها تقريبا في سلسلة مفاتيحي.

-٣-

عليّ ان أصحح الساعات، التأخير في الوقت وحده وثمة دائما دقائق زائدة ينبغي إزالتها. اغسل بسهولة بقعة النبيذ عن قميصي، لكنني لا أستطيع ان أفعل ذلك باللطخة التي تسببت عن حماس غير مستعمل، والأعشاب التي تبنت بعد حب سيئ. لا أستطيع ان أنقذ نفسي من الحطام الذي هو فائض الحياة كلها. كان ذلك بالطبع قبل ان يتحول الكسل والتردد والسعي في الشوارع الى مشروع خيالي. إذ كان يمكن ان نقضي العمر في عب فكرة كبيرة دون خوف من ان تجهضنا عما قريب، او ان يخمسها قط شيطاني ليعجل بولادتنا. كان في وسعنا ان نمضي في تكرار الأغنية، دون ان ينتج عن ذلك دم حقيقي او نار تدفعنا الى الخروج.

-٤-

أصل على الموعد بعد بضع دقائق تأخير فأجدهم غادروا. لم يتركوا خبرا. ربما عليّ ان أنسى القصة كلها، ولا أسأل: لماذا لا أستطيع ان أبادل تعب الرحلة بدقيقة تأخير. لكن أسوأ من ذلك ان أبادلها بندم طويل او خطبة طويلة على الكراسي. سيكون أفضل ان أفكر بأن ذلك لم يقع لأن إلها سخيفا لم يتذكره او باعه ببضع دقائق من الحزم المصطنع.

V. دواليب

الحفلة

العقد كمين لكن ليس للجميع، الذين يقعون بالغلط يزاحون بشدة. أنا لا احدث فرقا سواء كنت على الدرج او على المنصة. مع ذلك ادخل شاردا في العين التي تطردني، في العقد الذي لا يلمع لي. وصلت متأخرا لكنني لست المجهول ولا آت من المجهول. متأخرا جدا ولست حظا لأحد، لكن معي انتهى الوقت المحدد للصدفة وبلا انتباه أغلقت الباب الذي يفتح في الحفلات، عادة، لقادم جديد.

-٢-

أدخل متعثرا، لكن بشكل طبيعي، متعثرا بالمقاعد وبالصدفة التي تقع، مستعملة جسدي، على وجهها. مستعملة أيضا حرير المقاعد وعمى الجدران وخرفي الطبيعي. انها لحظة مقلوبة لكن هذا لا يحدث فرقا، وسأنهض من دون ان يلاحظوا او يلمحني أحد. يحصل للجسد ان يكون مجرد تقاطع لكن هذا يمر بسرعة، يحصل للجسد ان يكون سؤالاً او أحجية لكن هذا يتبدد في ثانية. لم يتحطم شيء، وسأعود الى مكاني وسأتجنب بالغريزة هذه المرة عينا مفتوحة او عقدا كثير الطيات.

-٣-

لكن الحفلة أيضا كمين (يكفي ان ذلك يتم خلف جدار عازل، وأن كثيرين أحضروا كانعكاسات وعذبوا، وبالطريقة نفسها أمكن اصطياد أشباح عابرة أو حبس أصداء ضاع مصدرها). من الصعب مع ذلك تتبع اثر جرمي لرقاقة خبز او استنتاج انقلاب من شكل دائري. الحفلة كمين للا شيء. يصطدمون جميعا بلائحة الانتظار لكنهم ليسوا أولاد الصدفة، بأشياء طائرة، لكن هذا ليس القدر ولا اسم لمخلوقات الانتظار التائهة. إنهم يجلسون حلقات، هذا هو القالب الطبيعي للمؤامرة لكنه شبيه

بيضون: دقيقة تأخير عن الواقع

أيضا بالصور التذكارية. لا شيء يؤذي مع ذلك، انها منزوعة الأسنان، وستكون كذلك كل هذه الاحتفالات التي تنقضي بلا موضوع مع مزيد من الكيتش ورقاقات الخبز المحمص والكنيات المكروهة. سيتم التعامل معها على انها ذكريات محتملة، او فرضيات في غير أوانها. لكن علينا ان نفعل ذلك بالانعكاس لأن كلامنا ثقيل ولا يمكن نقله بسهولة الى زمان آخر. لا يمكننا ان نستعين أيضا بصور وسطائنا الذين سرعان ما يتسللون قبل ان نصل. ونظن أننا نستطيع حبس كل ذلك في حفلة بسيطة وان نستدعي التاريخ عبر عازل زجاجي.

-٤-

نستطيع في هذه الأمسية نقل أشعة القمر مع كل أشياءنا الخفيفة الى المستقبل. ننتظر هنا ان نلتقي بحياتنا شابة وجميلة، نعتمد كثيرا على من دبروا لنا هذا الموعد، سأقول فعلت كل شيء لأمتلك هذا العنق لكن لا شيء أكيداً مع عقد كامل. ستكون الأمسية تامة لكننا لا نصدق مع حديقة رائعة كهذه. كل هذا ثرثرة او شبهها. أقول أنت هنا من زمن. تقولين أنت هنا من زمن. لقد دسنا قليلا، ودون ان نشعر، على المستقبل ربما سمعنا صيحة متألمة. لم نكن في لحظة واحدة، ومع ذلك استمرنا في رقصنا. المائدة هي الآن سفينة النجاة والعقد واسطة الأمسية. أنت هنا، أنت هنا. لا أستطيع ان أقف طويلا على هذا الكعب (معناه لا تدس قدمي)، العقد من معرض إيراني. بقي ان نقذ حبة المرجان التي سقطت في القاعة، حيث النافذة الآن مفتوحة والرسل القادمون من كل مكان يغطون على أخبارنا.

شوارع

التقاء شارعين، حين احتاج الى ان أكون نقطة أقف هناك. مع تقاطع أربعة شوارع أصير زاوية. حين تلتقي عيناى بالإسفلت لا يبادلني النظر ويهرب بسرعة أمامي. ربما يتوقف قبل النهاية ويواجهني من هناك. نفسي تتبعه وتسيل بعيدا عني. نظري يتبدد فوق اللمعان. يفرغ من دون اشارة عمى. ربما يلاحظني من دون ان أدري. ربما يتحد بالهواء والضوء وينتشر معهما. لكن الشارع لا يرد لي وجهي، وبعين الشارع الإسفلتية السوداء لا يتسنى لي ان أعرفه، لا أستطيع ان أستعيده مع حركة أربعة شوارع لا تنتهي. أتأمل ان يقف السير، وان توقظني صفارة الشرطي، أتأمل ان تعود لي نفسي التي جنت من السرعة والحركة. في الواقع لا يتوقف شيء ولا احتاج بعد الى خطواتي، عيناى ذلك السواد الإسفلتي ونفسي طريقي.

شجرة تشبه حطابا

شجرة صلعاء بنبت فوق جمجمتها شعر خشن شبه بشري، لا نأمل ان تمد أغصانها. لقد تملكها ذلك الشكل الآدمي وهي الآن تكاد تشبه حطابا، وبهذا الوجه الذي يسخر

من نفسه في الفزاعات يمكن ان نوجهها الآن لطرد الطيور.
سيكون صعبا عليها بعد ان ترقص في الريح، ان ترفع أذيالها وتدور صاحبة. انها تقريبا عرجاء وبشكل طبيعي كما ينبغي لشجرة تشبه حطابا، ويجب ان تتحمل قدرا من الألم لتبقى واقفة.
سُنبت رؤوسا بدل الأيدي، وستبقى مكشرة تحت واجب غير معروف. ستمد جذورها الى الأعلى وستكون طفيلية هناك، لكنها ستتعلم ما هو الصداق هذه المرة وتتدرب على العيش ضد نفسها وبالمقلوب، ضد نفسها وضد الريح.
ستخترقها العاصفة في صميمها، وستتكلم طوال الوقت في قمته لتمنعها من ان تنام. ستكون خشبا للصاعقة، وتفهم ان هذه من الآن طبيعتها الثانية.
لن نتخيل بالطبع النهايات البالية التي تنتظر شجرة صلعاء، لكن التوازن سيكون بعد الآن صعبا، وكل حركة في هذا العالم ستكون إرغاما وتقتضي ألما مقابلا. انها الآن شيطان بالنسبة لشجرة. لن تكون لها جارة سوى حفرة مهجورة لكنها، كتعويض، ستتعلم كيف تلعب مع نفسها. يمكنها الآن ان تكره او تخاف من دون مساعدة من أحد. يكفيها ان تتأمل سحنة الحطاب التي لها وقامتها العرجاء. لقد دخلت بالخطأ، وخلافا للطبيعة، في الوضع الإنساني.

دواليب

مؤجر الدراجات يقول انها لن تختفي، لأن الدواليب تظل تمنح الفرح. علم ذلك عند والده الميت، وعند الدراجة الأولى التي احتفظ بها، ويلاحظ ان قوتها الصماء تتزايد منذ تعطلت. وقد تتأله حين يموت معدنها تماما، فلا شك ان شيئا غامضا يتحرك في التاريخ المضطرب للدراجات.
السر في الدكان، يقول، فلا بد انه ليس صدفة هنا ولا يجوز ان نستخف به. نفهم ان الدواليب قد تبقى تعمل وحدها بعد إغلاقه بوحى الدراجة الكبرى المشلولة. حركتها الأثيرية تحمر الهواء المرابط وتستمر في الدوران داخل القلوب المتعبة. الوجود البسيط للملائكة هو أيضا دولاب.
الابتسامات والنظرات الماجنة هي أيضا دواليب، وتنتقل كاسطوانات أثيرية إلى الدم والرئتين، ويمكن ان نفهم ان الكلمات والأفكار تنتقل أيضا كدواليب. ماذا يتحقق لو عثرنا على الوجود البسيط لورقة العشب والقلب البشري.
مؤجر الدراجات يقول انها لن تختفي، المرأة التي ترهن جسدها لرجل واحد تؤجره للآخرين بالنظرات العارمة. الرجل الذي يحمل مبدأ ثقيل في رأسه يؤجره لخيانات لطيفة، إذ نفكر ان الوجود البسيط للسعادة هو أيضا دولاب.